صور التفاعل الحضاري من خلال السنة النبوية الشريفة

د. يوسف عبد اللاوي

تمهيد:

قد يتوجس البعض من كل دعوة للتواصل مع الآخر غير المسلم، خصوصا إذا كان فيه اقتباس فكرة، أو استفادة تجربة، ودافعهم إلى ذلك حماية الدين من التشويه والتزوير، والحرص على نقاء المجتمع من كل دخيل .

لكن هذا الحذر إذا وصل إلى حد الانغلاق فإن ذلك يشكل إساءة بالغة لديننا، وتحطيما لمقدرات دنيانا، والمآل الحتمي هو الضمور والزوال، وكل ذلك ينبئ عن قصور في فهم النص، وجهل بمقاصد الشرع.

يقول السيد محمد رشيد رضا[1] في معرض تعليقه على حديث (الحكمة ضالة المؤمن):" ...ولكن الجهل الذي عم في هذا الزمان وطم، والإغراق في التعصب على المخالف من غير روية ولا فهم ،وعدم معرفة مقاصد الشرع ، وانتفاء الوقوف على طرائق الضر والنفع - يحمل كل ذلك

---

(1)- مجلة المنار (551/1).

الغوغاء من أبناء هاته الأيام على رشق من ينسب لحكماء الفرنجة علمًا أو فهمًا بسهام الملام ، وربما طعنوا في دينه وهم ليسوا في ذلك على دين ، ولا تنهض لهم حجج قيمة ، ولا يأتون بسلطان مبين {أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَتِي فِي الصُّدُورِ}[1].

إنّ التفاعل الحضاري الواعي مع المحيط الخارجي عنصر مهم في صقل المواهب وتفتّق ملكات الإبداع، لأن العلم والمعرفة والخبرة ليست حكرا على أمة من الأمم، لذلك لم يجد الإسلام غضاضة في الدعوة إلى التفتح على معارف وتجارب الآخرين. بل إن توجيهات النبي الكريم صلوات الله وسلامه عليه كانت تدفع إلى اقتناص المفيد ومن أي وعاء خرج باعتباره ضالّة ينبغي نشدانها، وذلك بهدف صناعة النجاح على جميع الصعد وفي مختلف المجالات، ولتحقيق وعد الله لهذه الأمة بالاستخلاف والتمكين في الأرض قال تعالى: ﴿وَعد الله الذينَ آمَنوُا مِنْكم وعَمِلُوا الصَّالِحات لَيَسْتخْلِفنَّهُم في الأرْضِ كما اسْتَخْلفَ الذِينَ منْ قبْلِهِم ولَيُمكِنَّنَ لهم دِينهُم الذي ارْتضَى لهُم﴾[2].

أولا: ما يستأنس به من الأدلة على أهمية التفاعل الحضاري

إن كل دعوة جاءت في القرآن الكريم تدعو إلى ضرورة التفكر والاعتبار هي بمثابة تحريض على ضرورة التفاعل والتواصل مع الآخر ولو كان على غير ملتنا شرط أن يكون تواصلا واعيا، ومن ذلك قول الله عز وجل: { فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ}[3].

---

(1)- الحج : 46.

(2)- سورة النور: 55.

(3)- سورة الحشر(2)

ومن أشهر الآثار التي تساق في مثل هذا الموطن وأكثرها دلالة وتأثيرا "الْحكمةُ ضالَّةُ الْمؤمنِ فَحيثُ وَجدهَا فهُو أحقُّ بِهَا"[1] .

---

(1)-أخرجه الترمذي في كتاب العلم باب فضل الفقه على العبادة برقم 2687 (51/5) –طبعة شاكر- وابن ماجة في الزهد باب الحكمة برقم 4169 (1395/2) –طبعة دار الفكر- والقضاعي في مسند الشهاب (66/1) برقم 52 جميعهم من طريق إبراهيم بن الفضل من حديث أبي هريرة بلفظ (الكلمة الحكمة) وزاد القضاعي (ضالة كل حكيم).

كما رواه القضاعي من طريق أبي القرفصاء من حديث زيد بن أسلم مرفوعا لكنه مرسل (119/1) برقم 146 بلفظ (الحكمة ضالة المؤمن حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها إليه).

وقال الترمذي عقب الحديث: " حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعَّف من قبل حفظه" والحكم نفسه على إبراهيم ذهب إليها مجمل النقاد وقد لخص الحافظ ابن حجر في التقريب تلك الأحكام في تقريبه بالقول: " متروك" انظر التقريب (ص:92) تحقيق محمد عوامة، دار الرشيد سوريا، 1406 – 1986، .

وأما أبو قرصافة وهو محمد بن عبد الوهاب العسقلاني فلم أعثر له على ترجمة سوى ما ذكره الحافظ المزي في تهذيبه في ترجمة محمد بن الوزير بن الحكم السلمي " وأبو محمد عبد الرحمن بن أبي قرصافة واسمه محمد بن عبد الوهاب العسقلاني "وعده من جملة تلاميذه . انظر تهذيب الكمال تح بشار عواد معروف مؤسسة الرسالة بيروت ط1(1400هـ/1980م) (581/26) .كما ذكره عند ترجمة عدد من شيوخه كآدم بن أبي إياس وزيد بن المبارك اليماني ويسرة بن صفوان بن جميل أبو صفوان ويعقوب بن كعب بن حامد الحلبي ، وكذا الإمام الطبراني ذكره من ضمن شيوخه في حديث برقم954 قال بأنه تفرد به. انظر المعجم الصغير تح: محمد شكور محمود الحاج أمر، المكتب الإسلامي بيروت، دار عمار عمان، ط1 (1405هـ/1985م) (164/2).

فالظاهر أن الرجل معروف لكثرة من روى عنه وعنهم ، لكنه يبقى مجهول الحال لعدم وجود من تكلم عنه من أئمة الجرح والتعديل، ومن كان هكذا حاله يستأنس بحديثه ويكتب للاعتبار، خصوصا إذا كان في مثل مضمون حديثنا هذا . كما أن الجهالة تنطبق على من دونه من الرواة في إسناد هذا الحديث .

وعلى الرغم من أن نقاد الحديث متفقون على ضعف إسناده، فإنهم في الوقت نفسه متفقون على صحة معناه، والذي يشهد له عدد وافر من الأدلة في الكتاب والسنة ومن واقع السيرة النبوية الشريفة كما سنرى في بحثنا هذا .

وقد استشهد به العلامة ابن قيم الحوزية في معرض كلامه عن أهمية العلم وفضله ومنزلة القائمين عليه في "مفتاح دار السعادة"[1] مع تنصيصه على ضعفه بل اعتبره من أفضل ما يستشهد به في مثل هذا الموضع حيث قال: " وهذا من أحسن الأمثلة، فإن قلب المؤمن يطلب العلم حيث وجده أعظم من طلب صاحب الضالة لها" .

كما أورده الحافظ ابن كثير في تفسيره[2] عند تفسير الآية رقم 26 من سورة النور دون تخريج في موضع الاستئناس بمعناه، مع ما عرف عنه من شدة التحري والضبط .

وما يؤكد صحة معنى هذا الأثر الحديث الذي رواه البخاري في صحيحه[3] عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعا : ((...وحدثوا عن بني

والحديث ورد مرفوعا وموقوفا من غير ما ذكرنا من الطرق وجميعها ضعيف .انظر المقاصد الحسنة للسخاوي مطبعة المدني القاهرة (ط2) 1412هـ/1991م (ص:191) .

(1)-مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ابن القيم، دار الكتب العلمية – بيروت (75/1) .

(2)- تفسير القرآن العظيم ابن كثير سامي بن محمد سلامة، دار طيبة الرياض، (ط2) 1420هـ - 1999 (34/6) .

(3)- كتاب (الأنبياء) باب (ما ذكر عن بني إسرائيل) انظر صحيح البخاري تح مصطفى ديب البغا دار ابن كثير دمشق ط3(1987/1407)(1275/3) برقم (3274).

إسرائيل ولا حرج)) ، وورد في بعض ألفاظه عند البخاري[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه:((ولكن لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم)) .

ووجه الاستدلال به، أنه أذن بالتفاعل الحضاري والتواصل الثقافي مع ما عند أهل الكتاب ، غير أنه صلى الله عليه وسلم أمر برفض ما يعارض القرآن وقبول ما يوافقه والحذر مما لا يعلم صدقه من كذبه .

ورسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الأُسوة والقُدوة قد أقرَّ أبا هريرة رضي الله عنه على أن يأخذ ما فيه نفعه من أخبث مخلوق؛ ألا وهو إبليس، الذي كان يسرق من التمر الموكل بحفظه أبو هريرة ، ثم افتدى نفسه من أبي هريرة بتعليمه آية الكرسي كحافظ له من الشيطان حتى يصبح، فلما أَخبرَ أبو هريرة رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، قال:{ صَدَقَكَ وهو كَذُوب }[2] فالحكمة قد يتلقاها الفاجر فلا يَنتفِعُ بها، وتُؤخذ عنه ويُنتفع بها، والكذَّاب قد يَصدُق.

لا تحقرن الرأي وهو موافقٌ حكم الصواب إذا أتى من ناقص
فالدر وهو أعز شيء يقتنى ما حط قيمته هوان الغـــائص

ثانيا: اللغة أداة الولوج إلى الآخر

ومن أهمّ الأدوات التي تمكّن المسلم من الاستفادة من معارف الآخرين هو تعلّم اللّغة التي يتكلمون بها، لأنها تمثل جوهر التفاعل الحضاري، وليست مجرد أداة رمزية، يقول فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: (ومن هذه التعاليم المهمّة لإيجاد مناخ علمي، تعلّم لغات الآخرين عند الحاجة إليها، خصوصا إذا كان عندهم علم يؤخذ أو حكمة تُقتبس، فلا سبيل للانتفاع بها عند

---

(1)- في صحيحه كتاب (التفسير) باب (سورة البقرة) (1630/4) برقم (4215).

(2)- انظر الحديث كاملا في صحيح البخاري كتاب (الوكالة) باب(إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل)(812/2) برقم 2186.

غيرك إذا جهلت لغته، ولم يمنع الإسلام من تعلّم لغات الآخرين، بل دعا إليها باعتبارها وسيلة لنشر دعوته في العالم، وذلك أن رسالته ﷺ رسالة عالمية فهو وإن كان عربيا والكتاب المُنزّل عليه عربي، وقد أرسله الله بلسان قومه ليُبيّن لهم أنّه قد بعث للناس كافة ﴿ لِيَكُون للعالمين نَذِيرا﴾[1]، ﴿ومَا أَرْسلْناك إلاَّ رَحْمةً للعالمينَ﴾[2]، ﴿ قُل يَا أَيُّها النَّاسُ إنّي رَسُول اللهِ إليكُم جمِيعًا﴾[3]، فلا بدّ من تراجمة بينه وبين أرباب اللغات الأخرى حتىّ يمكنه تبليغ الدعوة إليهم وتلقّي الإجابة منهم، وقد كان عنده ﷺ من أصحابه من يعرف الفارسية والرّومية والحبشية ويكفيه همّ الترجمة منها وإليها، ولكن لم يكن عنده من يعرف اللغة السّريانية التي يكتب بها اليهود، فأمر بذلك كاتب وحيِه الأنصاري النابغة زيد بن ثابت ﷺ ليتقنها قراءة وكتابة ويستغني بها عن الوسطاء من اليهود في ذلك، قال زيد:" أمرني رسول الله ﷺ فتعلمْتُ له كتاب يهود بالسريانية وقال: إنّي والله ما آمن يهود على كتابي، فما مرّ بي نصف شهر حتىّ تعلّمته وحذقته، فكنت أكتب له إليهم وأقرأ له كتبهم"[4] ولعلّه كان على شيء من المعرفة بها من قبل لمجاورة الأنصار لليهود حتى أمْكنه أن يحذِقها في هذه المدة القصيرة، ومن هنا

---

(1)- سورة الفرقان: 01.

(2)- سورة الأنبياء: 107.

(3)- سورة الأعراف: 158.

(4)- أخرجه البخاري معلقا بصيغة الجزم في كتاب الأحكام باب ترجمة الحكّام وهل يجوز ترجمان واحد(2631/6)وقد ذكر الحافظ ابن حجر أن البخاري قد وصله مطولا في "كتاب التاريخ" وذكر من أخرجه من أصحاب السنن كأبي داود والترمذي هذا الأخير الذي قال عن الحديث بأنه: حسن صحيح، ثم عمل الحافظ على نفي شبهة التفرّد عن هذا الحديث بذكر مُتابع له وخَلُص بذلك إلى صحّة الحديث كما جزم بتعليقه البخاري (انظر الفتح دار المعرفة بيروت 186/13-187). وقد ذكره الألباني في "صحيحته" وأشار إلى اختلاف طرقه وألفاظه. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ط: 1995/1415، مكتبة معارف الرياض. (364/1-365).

حرص كثير من المسلمين على معرفة اللغات فترجموا منها وإليها، ونقلت كتب العلم من الأمم الأخرى، وتنافس في ذلك المترجمون، وكافأ على ذلك الخلفاء، وقال في ذلك الشاعر:

بقدر لغاتِ المرء يكثُر نفعه فتلك له عند الملمّاتِ أعوان

فأقبل على درس اللّغاتِ وحفظِها فكلّ لسانٍ في الحقيقةِ إنسان)[1]

ثالثا: صور من التفاعل الحضاري من خلال السنّة الشريفة والسيرة العطرة

عمل النبي ﷺ على إطلاق روح المبادرة لدى الصحابة رضوان الله عليهم في أن يُبدعوا ويبتكروا كلّ ما من شأنه أن يرفع من مستوى الأداء الحضاري للأمة، بل إنّه ﷺ شجّع على نقل إبداعات الأمم والحضارات الأخرى فيما يتعلق بشؤون الحياة المدنية والعسكرية.

ولقد نقلت لنا كتب السنّة والسيرة عددا من أفكار وإبداعات الأمم الأخرى التي وافق النبي ﷺ على الاستفادة منها، تنوعت بين إبداعات عسكرية تتعلّق بآلات الحرب وخُططه، وإبداعات أخرى في شؤون مدنية مختلفة ومتنوعة.

1- نماذج من الاقتباس في المجال العسكري

النموذج الأول: حفر الخندق

لعلّ أبرز شيء يسْبق إلى الأذهان ممّا أجمعت كتب السيرة والسنّة على نقله وصحّة ثُبوته لِمَا كان له من أثر بالغ في حسْم المعركة لصالح المسلمين هو حفر الخندق حول المدينة في غزوة الأحزاب التي تُسمّى أيضا بغزوة الخندق. فالخندق كان من الخطط العسكرية الناجحة لدى الفرس فقام سلمان الفارسي باقتراح فكرته على رسول الله ﷺ فبارك الاقتراح بل شارك في حفره.

---

(1)- السنّة مصدرا للمعرفة، ص: 183-184.

نقل الحافظ ابن حجر في الفتح[1] عن أبي معشر صاحب المغازي قوله: (قال سلمان للنبي ﷺ: إنّا كنّا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا، فأمر النبي ﷺ بحفر الخندق حول المدينة، وعمل فيه بنفسه ترغيبا للمسلمين، فسارعوا إلى عمله حتى فرغوا منه، وجاء المشركون فحاصروهم).

وروى البخاري في صحيحه[2] من حديث البراء قوله:(لمّا كان يوم الأحزاب وخندق رسول الله ﷺ رأيته ينقل من تراب الخندق حتى وارى عني الترابُ جلدةَ بطنه).

هذا الابتكار البديع لم يكن يخطر على بال المشركين حتى قال أبو سفيان وأصحابه إذ رأوه: (هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها)[3].

وقد علّق فضيلة الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على هذه الوسيلة الحربية التي استعملها المسلمون في هذه الغزوة بالقول: (وهذا من جملة الأدلة الكثيرة التي تدل على أنّ الحكمة هي ضالّة المؤمن فحيثما وجدها التقطها، بل هو أولى بها من غيره، وأن الشريعة الإسلامية بمقدار ما تكره للمسلمين إتّباع غيرهم وتقليدهم على غير بصيرة، تحبّ لهم أن يجمعوا لأنفسهم أطراف الخير كله، والمبادئ المفيدة جميعها أينما لاح لهم ذلك، وحيث ما وُجد، فالقاعدة الإسلامية العامة في هذا الصدد هي أن لا يُعطل المسلم عقله الحر وتفكيره الدقيق في سلوكه وعامّة شؤونه وأحواله، وإذا كان المسلم كذلك فهو لا ريب لا يمكن أن يربط في عنقه زماما يسلّم طرفه للآخرين فيقودوه حيث ما أرادوا بدون وعي ولا بصيرة، وهو أيضا لا يمكن أن يتجاهل أيّ مبدإ أو عمل أو نظام يُسلّم

---

(1)- (393/7).

(2)- البخاري كتاب المغازي، باب غزوة الخندق، برقم:4106 (1507/4).

(3)- الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر المطبوع بهامش الإصابة لابن حجر (58/2).

به العقل النيّر والفكر الحرّ وينسجم مع مبادئ الشريعة الإسلامية لا يتجاوزه ولا يُتعب نفسه بأخذه والاستفادة منه)[1].

النموذج الثاني: صنع بعض الآلات الحربية لاختراق حصون الطائف

تفتّقت قرائح الإبداع لدى بعض الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة الطائف عندما اشتدّ حصار المسلمين لحصون الطائف المنيعة، وصعب عليهم اختراقها لقوتها واستبسال من فيها للدفاع عنها، فاستخدم المسلمون لأول مرة آلات حربية لضرب الحصون كالمجانيق والدبابات والضبُّور، يقول الدكتور حسن إبراهيم حسن: (وتعلّم المسلمون صنع المنجنيق –وهو آلة ترمى بها الحجارة على الأعداء- حتى قال ابن هشام في سيرة الرسول: أن النبي ﷺ كان أول من رمى في الإسلام بالمنجنيق، وذلك أنه ﷺ سار إلى الطائف مطاردا فلول ثقيف الذين اعتصموا بحصونهم وطفِقوا يرمون المسلمين من فوقها بنبالهم، فاضطر إلى نصب المنجنيق ليرميهم به. وصنع المسلمون في عصر النّبي من الخشب المُغطّى بالجلد دبابة سموها "الضّبر" وجمعها الضبور كانوا يكْمُنون فيها ليتّقوا النبال الموجهة إليهم من الحصون، وكانوا كثيرا ما يقرّبونها لقتال المعتصمين بحصونهم وهم –أي المسلمون- ما يزالون في ضبورهم كامنين، ويُشبه ذلك ما صنعه المسلمون في عصر النبي أيضا من الدبابات التي يدخلون جوفها ويدفعونها إلى جُدُر الحصون يحاولون نقبها وتهديمها)[2].

ويُعلّق الدكتور صبحي الصالح على هذا الكلام بالقول: (وربما كان لاختلاط العرب بالفرس والروم أثر في تحسين أسلحتهم وأزيائهم العسكرية،

---

(1)- فقه السيرة، دار الشهاب باتنة الجزائر ص:297.

(2)- انظر النظم الإسلامية، حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة، القاهرة.ص:201، والنظم الإسلامية نشأتها وتطورها صبحي الصالح، ط:6، 1982، دار العلم للملايين، بيروت.ص:402-403.

ولكن استعدادهم في التفنن في الصناعة الحربية هو الذي أتاح لهم – في وقت مبكر- أن يتبوّؤوا مركزا مرموقا في العالم كله، وأن يكونوا مشعلا لحضارة بني الإنسان)[1].

ولم تنقل لنا كتب السيرة من أين استفاد المسلمون من هذه الآلات الحربية غير ما ورد من أخبار واهية رواها الواقدي صاحب المغازي من كون سلمان الفارسي هو صاحب هذه الفكرة التي كانت من ضمن الوسائل الحربية عند الفرس، وأنّه هو الذي صنع المنجنيق بيده بأمر من رسول الله ﷺ، أو روايات أخرى تقول بأن يزيد بن زمعة هو الذي قدم بالمنجنيق ودبابتين وقيل الطفيل بن عمرو[2].

غير أن الذي استفاض واشتهر في كتب السّير[3] هو أن مدينة يمانية عظيمة تدعى جُرَش تقع شرقي جبل السواد من أرض البلقاء جهة مكة، اشتهرت بصناعة المنجنيق والدبابات والضبور حيث ذكر ابن إسحاق أن اثنين من وجهاء ثقيف كانا يتعلّمان هذه الصناعة هناك فقال: (ولم يشهد حُنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ولا غيلان بن سلمة كانا بجُرَش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور).

---

(1)- النظم الإسلامية، صبحي الصالح، ص:403.

(2)-انظر تاريخ الإسلام (قسم المغازي) للذهبي تحقيق محمد محمود حمدان، ط:1، 1991/1411، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني. (493/2).

(3)- انظر سيرة ابن هشام تح: عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت ط3(1990/1410) (117/4)، تاريخ الإسلام (المغازي) (492/2)، السيرة النبوية لابن كثير تح مصطفى عبد الواحد دار المعرفة بيروت ط(1983/1403) (652/3)، النظم الإسلامية، صبحي الصالح، 509، السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري ط:3، 1998/1418، مكتبة عبيكان، الرياض (509/2).

2- نماذج من الاقتباس في المجال المدني:

كما استفاد النّبي ﷺ من إبداع الآخرين في غير المجال العسكري أيضا، ومن ذلك:

النموذج الأول: محاربة الأمية

ولقد حرص رسول الله ﷺ على أن يُجسد هذه الأقوال والتوجيهات على أرض الواقع حتى يراها الناس حيةً تسعى، وأن يُجسدها في المقربين إليه حتى يُحيط نفسه بكوكبة من العلماء النابهين الذين يرتقون بمستوى الأمة من مرحلة مجرد القراءة والكتابة، إلى مستوى الإبداع والابتكار، وأبرز مثال على ذلك فداء أسرى بدر من المشركين ممن لا مال لهم مقابل تعليمهم لمن لا يقرأ من المسلمين. فقد روى ابن سعد عن عامر الشعبي قال: (أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرا، وكان يُفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن له فداء دفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة فعلّمهم فإذا حذقوا فهو فداؤه)[1].

وعلّق فضيلة الشيخ يوسف القرضاوي على هذا بالقول (وذكر -أي ابن سعد- أن زيد بن ثابت أحد كُتّاب الوحي، كان ممن علّمهم أسرى قريش، ومعنى هذا أن خطّة النبي ﷺ لم تكن قائمة على مجرد "فك الخط" كما يقولون، بل لا بد من درجة "الحذق" و"الإتقان" حتى لا ينسى ويرتدّ إلى الأمّيّة من جديد)[2].

---

(1)- الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد تحقيق محمد عبد القادر عطا، ط:1، 1990/1410، دار الكتب العلمية بيروت. (16/2).

(2)- السنة مصدرا للمعرفة والحضارة، د: يوسف القرضاوي، ص183.

النموذج الثاني: في مجال الصناعة (صناعة المنبر)

قبل النبي ﷺ أن يستبدل الجذع الذي كان يخطب عليه بمنبر خشبي تقول بعض الروايات أنه من صناعة رجل رومي.

فقد روى البخاري[1] أنّ سهل بن سعد الساعدي قال: (أرسل رسول الله ﷺ إلى فلانة -امرأة قد سمّاها سهل- مُري غلامك النّجّار أن يعمل لي أعوادا أجلس عليهن إذا كلّمت الناس، فأمَرَتُه فعملها من طرفاء الغابة ثم جاء بها فأرسلت إلى رسول الله ﷺ فأمر بها فوضعت هاهنا).

وقد ورد في قصة المنبر روايات كثيرة اختلفت في اسم من اقترح عليه هذه الفكرة وفي اسم صانع المنبر، وأقوى الأحاديث سندا كما قال الحافظ في الفتح[2] حديث عبد الله بن عمر أنّ تميما الداري قال لرسول الله ﷺ لما كثُر لحمه ألاَ نتّخذ لك منبرا يحمل عظامك؟ قال: بلى، فاتُخذ له منبر) وعزا روايته إلى أبي داود والبيهقي، وقد ورد في بعض الروايات أنّ تميما الداري رأى ذلك يُصنع في الشام[3].

ومن الروايات التي أوردها الحافظ بن حجر أيضا قال: (ووقع عند الترمذي وابن خزيمة وصحّحاه من طريق عكرمة بن عمار عن إسحاق بن أبي طلحة عن أنس كان النبي ﷺ يقوم يوم الجمعة فيُسند ظهره إلى جذع منصوب في المسجد ليخطب فجاء إليه رومي فقال ألا أصنع لك منبرا) قال

---

(1)- في صحيحه، كتاب الجمعة، باب الخطبة على المنبر، برقم 917 (الفتح 397/2).

(2)- الفتح (398/2).

(3)- نفس المصدر والجزء والصفحة.

الحافظ:يُحتمل أن يكون الرومي تميما الداري لأنه كان كثير السفر إلى بلد الروم[1].

النموذج الثالث: في مجال التوثيق (اتخاذ الخاتم)

قبل النبي ﷺ أن يتخذ خاتما من فضة ليختم كتبه ورسائله إلى سائر الملوك والأمراء، ولم يكن ذلك معروفا عند العرب وإنما هو إبداع أمم وحضارات أخرى، فعن أنس بن مالك قال: لما أراد رسول الله ﷺ أن يكتب إلى الروم، قال: قالوا: إنهم لا يقرأون كتابا إلا مختوما، قال: فاتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة كأني أنظر إلى بياضه في يد رسول الله ﷺ، نقْشُه محمد رسول الله)[2].

والأمر لم يكن مقصورا على الروم بل عام عند جميع العجم، ففي رواية لمسلم عن أنس (أن نبي الله كان أراد أن يكتب إلى العجم فقيل له إن العجم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم، فاصطنع خاتما من فضة، قال: كأني أنظر إلى بياضه في يده)[3].

---

(1)- المصدر نفسه (399/2)، وقد اطّلعت على رواية الترمذي (554/5 طبعة شاكر برقم 3627) وليس فيها ذكرا للرومي. وورد ذلك في رواية أخرجها الدارمي في سننه (دار الفكر بيروت)في المقدمة، باب ما أكرم النبي ﷺ بحنين المنبر (16/1) عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يخطب إلى لزق جذع فأتاه رجل رومي فقال: أصنع لك منبرا تخطب عليه فصنع هذا الذي ترون.

(2)- البخاري، كتاب اللباس، باب اتخاذ الخاتم ليختم به الشيء، أو ليكتب به إلى أهل الكتاب وغيرهم، برقم 5875 (الفتح 324/10)، ومسلم -واللفظ له- كتاب اللباس والزينة، باب اتخاذ النبي ﷺ خاتما لما أراد أن يكتب إلى العجم (صحيح مسلم بشرح النووي مكتبة الإيمان، المنصورة القاهرة مصر.257/7).

(3)- مسلم، في نفس الكتاب والباب السابق (شرح النووي 258/7).

وعنه عن أنس أيضا (أن نبي الله أراد أن يكتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي، فقيل له: لا يقبلون كتابا إلا بخاتم.....الحديث)[1].

النموذج الرابع: في الترويح عن النفس (حديث الدَّرَكْلة)

وأقر نبينا -صلى الله عليه وسلم- الدَّرَكْلة[2] ضرب من لعب الحبشة .

فعن الشعبي رفعه إلى النبي صلى الله عليه و سلم : مرّ على أصحاب الدركلة قال: " خذوا يا بني أرفدة[3] حتى يعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة "[4] قال فبينما هم كذلك إذ جاء عمر رأوه ابْذعَرّوا[5] .

وأصل الحديث في الصحيحين[6] من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه و سلم وعندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث فاضطجع على الفراش وحوّل وجهه ودخل أبو بكر فانتهرني وقال مزمارة الشيطان عند النبي صلى الله عليه و سلم فأقبل عليه رسول الله عليه السلام فقال (دعهما) . فلما غفل غمزتهما فخرجتا .

---

(1)- نفس المصدر والكتاب والباب والصفحة.

(2)-الدَّرَكْلَة والدِّرَقْلة بوزن الزِّبحْلَة : ضربٌ من لعب الصبيان وقد دَرْقلُوا دَرْقلة. انظر الفائق في غريب الحديث، محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق : علي محمد البجاوي -محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة – لبنان- الطبعة الثانية (421/1) .

(3)-أرفدة: أبو الحبش . انظر الفائق في غريب الحديث (421/1) .

(4)-بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، الحارث بن أبي أسامة / الحافظ نور الدين الهيثمي، مركز خدمة السنة والسيرة النبوية - المدينة المنورة، تحقيق : د. حسين أحمد صالح الباكري، الطبعة الأولى ، 1413 – 1992، 862/2 برقم866 .

(5)-أبْذَعَرُّوا : تفَّرقوا . انظر الفائق في غريب الحديث (421/1) .

(6)-صحيح البخاري 323/1برقم 907، و ومسلم في صحيحه دار الجيل بيروت / دار الأفاق الجديدة . بيروت 22/3 برقم 2102 .

وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب فإما سألت النبي صلى الله عليه و سلم وإما قال (تشتهين تنظرين) . فقلت: نعم فأقامني وراءه خدي على خده وهو يقول (دونكم يا بني أرفدة) . حتى إذا مللت قال (حسبك) . قلت: نعم قال: (فاذهبي) .

النموذج الخامس: في مجال الطب (النهي عن الغيلة)

كانت العرب يحترزون عن جماع المرضع أو الحامل ويزعمون أنها تضر الولد وكان ذلك من المتعارف عليه بينهم حتى ذكر صلى الله عليه وسلم أن فارس و الروم يصنعون ذلك ويجامعون المرضع والحامل فلا يضر أولادهم فلو كان ذلك مضرًا لضر أولاد فارس والروم لأنهم يفعلونه مع كثرة الأطباء فيهم.

فعن عائشة عن جدامة بنت وهب الأسدية أنها سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول « لقد هممت أن أنهى عن الغِيلة[1] حتى ذكرت أن الروم وفارس يصنعون ذلك فلا يضر أولادهم »[2].

---

(1)-الغِيلة بالكسر : الاسم من الغَيْل بالفتح وهو أن يجامع الرجُل زوْجَته وهي مُرْضِع . النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، المكتبة العلمية - بيروت - 1399هـ - 1979م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي (118/2) .

(2)-مسلم في صحيحه 161/4 برقم 3637.

الخاتمة

لقد تعامل ديننا بكل إيجابية مع إبداعات وابتكارات وتجارب الأمم والحضارات الأخرى دون أدنى عقدة أو تردد ما دامت تضيف جديدا نافعا، وإن مثل هذه التوجيهات النبوية فتحت الباب واسعا للصحابة والسلف الصالح من بعده ليشقّوا طريقهم نحو البناء والتشييد والابتكار، فأبدعوا في صناعة حضارة عظيمة ما زال الغرب يتفيؤ من ظلالها إلى يوم الناس هذا.